حسن الاثابة وتفصيل العهد من قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات تجري من
تحتها الانهار الخ وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتأكيد وإياي فارهبون فيما تأتون وما تذرون خصوصا في نقض
العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن
الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد
والوعيد ودلالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا من الله تعالى وآمنوا بما انزلت
افرد الايمان بالقرآن بالامر به لما انه العمدة القصوى في شان الوفاء بالعهود مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير
عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مبنية لتكرر المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها
المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من جهة انه موافق
لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما
يتراءى من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في
الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه للحكمة التي عليها يدور فلك
التشريع وليس في التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على مشروعيتها
مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن
الناسخ لها نطق بنسخها فان مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر
نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام
لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر
فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول كافر به اي لا تسارعوا الى
الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شانه وحقيته بطريق التلقي مما معكم
من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضعوا موضع
ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم اول كافر به كقوله كسانا حله ونهيهم
عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر
كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه
فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله
أوأل من وأل اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير قياسي او أول من آل فقلبت همزته واوا
وادغمت ولا تشتروا بآياتي اي لا تأخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا هي الحظوظ الدنيوية وانها وان
جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة
في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاختاروها على الا

وانما عبر

وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والملتفت فيها بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة
فيها وقرنت الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث
جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا وإياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض
عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة
التي هي من مقدمات التقوى او لان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة المتناولة للفريقين و
اما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امرهم بالتقوى الذي هو المنتهى ولا تلبسوا الحق بالباطل
عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل
الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالآخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب
الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كانهم
امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عمن لم يسمعه
او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان استقباح
اللبس لما يصحبه من كتمان الحق اكثر لان المراد بالاخير ليس عن الاول بل هو نعت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم وانما الزيادة تقبيح
المنهي عنه اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره وانتم تعلمون اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون
كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس المراد الحال لتقييد النهي به كما في قوله تعالى
لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة اي صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلوة وزكوة امرهم الله
بفروع الاسلام بعد الامر باصوله واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة
تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة وعبر عن
الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع
قال الاضبط بن قريع السعدي • لا تحقرن الضعيف علك • ان تركع يوما والدهر قد رفعه
أتأمرون الناس بالبر تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة
فيها تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول
جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله وبر في مراعات يأمرون سرا من
نصحوه باتباع الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلوة التي كانت
تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم كانوا

Copyright © King Saud University